مقدمة المترجم

هذا الكتاب من أغنى الكتب التي وفقني الله أن أقرأها، فهو بحث شاق قام به المؤلف خلال ما يزيد على عشر سنوات، اشترك فيه مع نخبة من علماء الاجتماع والاقتصاد والقانون والسياسة، وكذلك علماء الحواسيب والبرمجة وتخصصات أخرى لا علاقة لها بالبحث. وأشرك أيضاً عددًا من طلبة الدراسات العليا في جميع المجالات المذكورة؛ لذا خرج الكتاب وكأنه حديقة غناء تضم عدداً من الأزهار والفواكه المتنوعة، وقد غطى بأسلوب ممتع وشيق خمسة حقول من مجالات العلوم: إذ بحث في علم الاجتماع موضحاً مدى تأثير شبكات التواصل الاجتماعي في سلوكيات المجتمعات العالمية وكيف استطاعت المجتمعات أن تسهم في إنشاء الأسواق الافتراضية وظهور البرمجيات المجانية والإنتاج التعاوني وتأثيره في سلوكيات المجتمع، وتعمق في علوم الاقتصاد مركزاً على اقتصاد المعلومات المترابطة وتأثير الشبكة العنكبوتية العالمية على الاقتصاد العالمي ومقارنة ما أسماه "الاقتصاد التعاوني" مع الاقتصاد الصناعي.

وتحدث أيضاً في مجال السياسة العالمية والعدالة والمساواة بين الدول الغنية والفقيرة، وكيف أثر الإنتاج التعاوني على الديموقراطية في العالم، وكيف أثر التطور التقني في تحرير الشعوب، موضحاً محاولة الحكومات الاستبدادية الحجر على تدفق المعلومات التي ترى أنها تضر بمصالحها، مبيناً التحديات التقنية للإجراءات التي تستخدمها تلك الدول لمنع مواطنيها من الوصول إلى المعلومات. كما ناقش بشكل خاص التشريعات والقوانين المتعلقة بالاتصالات السلكية واللاسلكية منذ بداياتها، عندما كانت تعتمد

على الموجات الطويلة والتضـمين التناظري، وحتى الاتصالات الرقمية والقنوات عريضة النطاق المسـتخدمة هذه الأيام. موضحاً الصـراعات والجدل الذي انفجر بين الشركات المصنعة للأجهزة بجميع أنواعها في الولايات المتحدة وأوروبا، وتدخل الحكومات ومجلس النواب ومحاولة كل جهة أن تسـيطر على هذه الصـناعة. ويبحث بعمق في قوانين الملكية الفكريـة وتأثيراتها وقوانـين حماية قواعد المعلومات في كل مـن أوروبا والولايات المتحدة الأمريكيـة مع مقارنة بين تلك القوانين وتأثير قوانين حقوق الملكية الحصـرية على إنتاج الـدول الفقيرة وتسـلط الدول المتقدمة عليها. كما أنـه لم يهمل المجال التقني حيث بحث بأسـلوب ميسر في تقنيات الإنترنت وشبكات التواصـل الاجتماعي وطريقة ترابط المواقع في شـبكة الإنترنت ونقل وتبادل المعلومات وتطرق كذلك للقرصنة الإلكترونية وتاريخ نقل المعلومات التي تهم المجتمع والفوائد التي تصـب في مصـلحة مجتمعات البحوث العلمية على مستوى العالم.

وقد أمضـى المؤلف أكثر من عشـر سـنوات مـن البحث والنقاش وورش العمل التي اشـترك فيهـا أهم العلمـاء والمفكرين وأسـاتذة الجامعات والطـلاب في جميع المجالات المذكـورة أعـلاه، وكثير منهـم قد أسـهموا في إثراء هذا الكتاب كما يتضـح من الشـكر والتقدير الذي وضعه المؤلف لأولئك العلماء والمراجع التي في نهاية الكتاب.

وأخيراً أرجو الله أن أكون قد وفقت في اختيار عمل يفيد الأمة، ويثري المكتبة العربية، وأسأله عز وجل أن ينفع به الناس، ويفتح لهم أبوابًا جديدة للتفكير والعمل المثمر.

obeikandl.com

مقدمة المؤلف: شكر وتقدير

إنني أعدّ قراءة مسودة هذا الكتاب كرماً وعملاً بطوليًّا، أدين به لكل من قام به وساعدني على تجنب بعض الأخطاء التي لم أكن أستطيع تلافيها دون مساعدتهم. لقد أمضى بروس أكرمان "Bruce Ackerman" ساعات لا تحصى من الحديث معي، والقراءة في تحدٍّ كبير لمحتويات الكتاب وأجزائه منذ عام 2001م. لذلك أدين كثيراً له على مفهومه لمعاني الصداقة. كما أن جهود جاك بالكين "Jack Balkin" لم تقتصر فقط على قراءة المسودة، ولكنه قدمها في ندواته، وهو كرم عظيم منه وفرضه كذلك على الزملاء في جمعية المعلومات في جامعة ييل، ثم أمضى معي ساعات طويلة من العمل لتوضيح القيود والعثرات التي وجدها. كما أن كلًّا من مارفن أموري "Marvin Ammori" وأدي باركان "Ady Barkan" وإلازار باركان "Elazar Barkan" وبيكي بولن "Becky Bolin" وإستر هارجيتي "Eszter Hargittai" ونيفا الكين كورين "Niva Elkin Koren" وأيمي كابوزينسكي "Amy Kapczynsky" وإيدان كاتز "Eddan Katz" وزاك كاتز "Zac Katz" ونمرود كوزلوفسكي "Nimrod Koslovski" وأورلي لوبل "Orly Lobel" وكاثرين مكدانيل "Kathrerine McDaniel" وسيفا فيدهاياناثان "Siva Vaidhyanathan" جميع هؤلاء قرؤوا مسودة الكتاب وقدموا كثيرًا من الأفكار والرؤى بالإضافة إلى أن مايكل أومالي "Michael O'Malley" من مطبعة جامعة ييل يستحق شكرًا خاصًّا لمساعدتي على اتخاذ القرار لكتابة هذا الكتاب الذي رغبت حقًّا في أن أكتبه، وساعدني كذلك على تحديد المسار.

obeikandl.com

لقد أمضيت أكثر من عشر سنوات في كتابة هذا الكتاب. فجذوره تعود إلى عام 1993م و1994م وقضيت ليالي طويلة من الحوار مع نيفا الكين كورين "Niva Elkin Koren"، حسب ما يسمح به وقت طالب الدراسات العليا ناقشنا خلاله الديمقراطية المرتبطة بالفضاء الإلكتروني، وكذلك كان هناك سلسلة من النقاش المفيد مع ميتش كابور"Mitch Kapor" وعدد من الجلسات الخيالية مع تشارلي نيسون "Charlie Nesson"، ولحظة تفاهم حقيقي مع موغلين أبين "Eben Mglen". وبشكل محوري خلال ذلك الوقت كان هناك ورقة بإشراف تيري فيشر "Terry Fisher" تبحث في عقارات الأسرة في القرن التاسع عشر وفي حياة الجمهوريين المتشددين وسلسلة من الفصول الدراسية والأوراق التي تم مناقشتها مع فرانك متشلمان "Frank Michelman" ودنكان كينيدي "Dunkan Kennedy" ومورت هورواتز "Mort Horwitz" وروبرتو أنجر "Roberto Unger" وديفد تشارني "David Charny" كل ذلك دفعني للتفكير الأساسي لدور الملكية الخاصة والتنظيم الاقتصادي المتعلق ببناء حرية الإنسان. ويعود الفضل لفرانك متشلمان "Frank Michelman" الذي علمني أن أصعب شيء هو ما تؤديه بحرية تامة.

لقد كنت منذ ذلك الوقت، محظوظاً في عقد الصداقات الفكرية واللقاءات العديدة والمتنوعة، مع جمع من الأصدقاء المتخصصين في مختلف المجالات والعلوم، الذين سلطوا الضوء على جوانب متعددة لهذا المشروع. فقد التقيت لاري ليسيغ "Larry Lessing" للمرة الأولى في عام 1998م. وخلال الحديث ساعتين، تكونت بيننا صداقة وحوار فكري أصبح محوراً أساسيًّا لعملي منذ ذلك الحين. لقد قام بدور محوري في تغيير فهم المجتمع للسيطرة والحرية والإبداع في البيئة الرقمية، على مدى السنوات القليلة الماضية. كما أنني أمضيت ساعات طويلة تعلمت فيها من جيمي بويل "Jamie Boyle" وتيري فشر "Terry Fisher" وإبين موغلان "Eben Moglen" خلال تلك السنوات، فقد كان لكل منهم تأثير كبير على أعمالي بطرق وأساليب مختلفة. وكان هناك لحظات بين فعاليات المؤتمرات التي ينظمها "بويل" في جامعة ييل خلال عام 1999م أو جامعة ديوك في عام 2001م، للحوارات الساخنة بين عدد من الناس الذين لديهم اهتمامات

مشـتركة، وينتمون لحركة فكرية واحدة، بدرجات متفاوتة من التواصل المتبادل، ويسعون بحماس كبير لاسـتخدام المال العـام في إنتاج المعلومات والابتكارات بشـكل عام وإنفاقه على تطوير البيئة الرقمية المترابطة على وجه الخصوص. وفي سياقات مختلفة، قبل هذه المدة وخلالها، تعلمت الكثير من "جولي كوهين" و"بيكي أيزنبرغ" و"بيرنت هوجينهولتز" و"ديفيد جونسون" و"ديفيد لانج" و"جيسيكا ليتمان" و"نيل نيتانيل" و"هيلين نيسينبوم" و"بيغي رادين" و"آرتي راي" و"ديفيد بوسـت" و"جيري رايخمان" و"بام صامويلسـون" و"جـون زيترايـن" و"ديان زيمرمـان". والممتع في هذا المجـال هو الأوقات التي عشـتها مع التقنيين والاقتصـاديين وعلماء الاجتماع وغيرهم ممن لا تمت تخصصـاتهم بشـكل مباشـر لأي مـن هذه المجالات. وكثـيراً منهم كانوا يتحملونني بدرجـة كبيرة وقد تعلمت منهم الكثير. وأخص بالذكر سام باولز "Sam Bowles" الذي أدين له بالشكر وكذلك "ديـف كلارك" و"ديوين هندريكس" و"ريتشـارد جيفرسـون" و"ناتالي جيرميجنكو" و"تارا ليماري" و"جوش ليرنر" و"آندي ليبمان" و"ديفيد ريد" و"تشاك سابل" و"جيري سـولتزر" و"تيم شـيبرد" و"كلاي شـيركي" و"إريك فون هيبل". أما فيما يتعلق بنظرية القانون الدسـتوري والسياسـي، فقد اسـتفدت في وقت مبكر ومازلت من آراء "إد بيكر" الذي قضـيت معه ساعات طويلة لمناقشة كل نقطة أو مشكلة واجهتني في مسائل النظرية السياسية التي تناولتها في هذا الكتاب؛ كما أن "كريس إيزجروبر" و"ديك فالون" و"لاري كريمر" و"بيرت نيوبورن" و"لاري سـاقار" و"كاثلين سـوليفان" جميعهم ساعد على بناء عناصر مختلفة من هذا الكتاب.

وقد تم معظم العمل في جامعة نيويورك، التي وفرت لي بيئة فكرية ومسـاحة قانونية آمنـة لبحث آراء غير تقليدية لدرجة كبيرة في مدرسـة القانـون بالجامعة. وعندما كنت أشارك في ورشة عمل في عام 1998م قال لي أحد الأصدقاء الزائرين: "لا يوجد مدارس قانون كثيرة تسـمح لك أن تعدّ الملكية العامة عاملاً مهملاً في قوانين المعلومات" وخاصـة أننـي عضـو غير متفـرغ في هيئـة التدريس وأتحدث في صـالة مملـوءة بعلمـاء القانون والاقتصـاد، دون أي تأثير لمسـتقبلي المهني. وقد ساعدني بشـكل خاص مارك جيستفلد "Mark Geistfeld" علـى البحـث في اقتصـاد المشـاركة – حيث قضـى معـي أوقاتًا

ممتعة على شاطئ البحر ونحن نراقب أطفالنا يلعبون بين الأمواج. واستفدت كذلك من كرم آل إنجلبيرج "Al Engelberg" وهو الشخص الممول لمركز "إنجلبيرج" لقانون الإبداع والسياسات ومن خلال طلبة وزملاء هذا المركز تعلمت الكثير وكذلك آرثر بن "Arthur Penn" الممول لمعهد قانون المعلومات الذي عقدت فيه دروس فكرية رائعة مثل مؤتمر "علوم بيئة المعلومات الحرة في البيئة الرقمية" الذي جرى في عام 2000م وسلسلة ورش العمل التي أصبحت فيما بعد مشروع الطيف المفتوح. وخلال تلك الفترة، كنت محظوظاً للغاية أن أعمل مع طلاب زملاء رائعين بطرق متنوعة أسهمت في إثراء هذا الكتاب وأخص بالذكر "جيجا برنشتاين" و"مايك برنشتاين" و"جون كوزين" و"جريج بومرانتز" و"ستيف سنايدر" و"ألان تونر". ومنذ عام 2001م أصبحت سعيداً عندما التحقت في المجتمع الفكري في كلية القانون بجامعة ييل، أولاً بوصفي زائرًا ثم ومازلت عضواً منتظماً. ويُعدّ الكتاب في شكله الحالي وبنيته والموضوعات التي تم التركيز عليها انعكاس مباشر لانغماسي العميق في هذا المجتمع الرائع. فكل فرد من زملائي قد قرأ الموضوعات التي كتبتها خلال هذه الفترة وحضر ورش العمل التي قدمت فيها هذا العمل وقدم تعليقات ساعدت على تحسين مواد الكتاب. لذا فأنا مدين بالشكر لكل واحد منهم، والشكر موصول لـ"توني كرونمان" الذي أقتعني بجودة هذا العمل. وذكر بعضهم قد يؤدي إلى التقليل من إسهاماتهم. ومع ذلك يلزمني أن أوجه إليهم الشكر الجزيل وأدين لأي شخص أسهم معي ولم أذكر أسمه.

إن إبراز مسائل الاقتصاد يُعدّ شرطاً مسبقاً للدخول في صلب المتطلبات السياسية. فقد عمل كل من "بوب إليكسون" و"دان كاهان" و"كارول روز" بعمق في موضوع التبادلية والإنتاج المعتمد على المال العام. بينما وضح لي "جيم وتمان" علاقة الهدايا بالعلوم الإنسانية "الإنثروبولوجيا". أما "إيان آيريس" و"رون دانيالز" و"آل كليفورك" و"جورج بريست" و"سوزان روز أكرمان" و"آلان شوارتز" فقد قدموا مزيجًا من الشك الذي أحتاج إليه، وساعدوا على بناء الحوار الذي بدد ذلك الشك وأكد اليقين. وساعدني كذلك "أخيل عمار" و"أوين فس" و"جيري ماشوا" و"روبرت بوست" و"ريفا سيغال" و"كينجي يوشينو" في العمل على كتابة المعايير والمسائل الدستورية. أما التحول الذي

أخـذت به وجعلني أركـز على التنمية العالمية بوصـفها جـانباً جوهريًّا لتطبيق العـدالة - كما شرحته في الفصل التاسع – فقد نتج عن دعوة من "كوه هارولد" و"أونا هاثاواي" للتحدث في الندوة المتعلقـة بالعولمة، وتعليقاتهم المفيدة للورقة التي قدمتها. وكان التأثير الأكـبر علـى هذا العمل يعـود إلى "إيمي كابكزنسـكي" التي عملت زميلـة في جامعة ييل ومعها عدد من الطلبة الذين طلبوا مني العمل معهم على سياسة ترخيص الجامعة، ومن بينهم "سام تشيفتز".

والغريب، أنني لا أملك التعبير الصـحيح والمناسـب لتقديم الشـكر لشخصـين أكنّ لهما المديونية، وهما والدي الذي ترك المدرسـة الثانوية واتجه للفكر والقراءة، فقد توفي وهو في ريعان شبابه، ولا يمكن له أن يتخيل الجلوس مثلي مع أبنائه ولديهم أعظم مكتبة في تاريخ البشـرية وهم جالسـون معنا على طاولة العشـاء، لكنه لو شاهد ذلك سيعشقه. والآخر هو "ديفيد جريس" الذي أمضى ساعات طويلة يوجهني في أول عمل لي في القانون واشـترى لي نسـختي الأولى من كتاب "سـتنك ووايت" وعلمني الكتابة باللغة الإنجليزية ولا بـد أن مشـاعره سـتجرح عند قراءة هذه الكلمات، وأخشـى أن يعـدّني مرتبطاً بعمل غير منضـبط كهذا البحث، الذي يحتوي على جمل طويلة جدًّا مليئة بالبنود والتركيبات المعقدة أكثر مما تحتاجها الأفكار البسيطة للغاية.

أخيرًا، لأفضـل صـديق ورمز الشـراكة في هذا الصراع الذي نسـميه «الحياة» إلى ديبورا شراج التي شاركتني كل شيء لطيف منذ أن كنا بالكاد بالغين.